قصائد أخيرة

بيان الصفدي

١ ـ الرحيـل

شمس غارقة في الظل ،
وصيحات تتردد في الليل ،
الليل المعتم والممتد ،
يسافر قاربك المنخور ،
تضيق الجدران عليك ،
فتشهق في ألم :
ـ أعطوني نافذة
بيتا من عشب .
فالكلمات المخذولة تهوي ،
والشعراء
أشجار في مملكة جرداء !
.....
وبكى في صمت ،
لم يسمعه الاخر ،
أحرق أشعارا من ذوب القلب ،
وبعد قليل كان الشاعر
ملفوفا برماد الاوراق الزرقاء
.....
سأقول لكل طيور البحر البيضاء :
ـ مري فوق القلب
وفوق الكلمات !
مري فوق الشطآن المهجورة ،
زوري كل الفلوات الموحشة ،
وقولي في ألم طاغ :
الشاعر مات !

السويداء ـ ٧٦

* * *

٢ ـ أمام تمثال السياب

التراتيل شاحبة .. والمواويل ،
والحزن منسدل ،
والمويجات مثقلة بالبكاء ،
تقول المياه الشفيفة
ـ حيث المراكب تنساب ـ
أن النخيل يحدثها في الاصائل ،
يمنحها لغة وعيونا ،
وتهمس في ناظريك نجوم تغور ،
فأكتب !
لا لغتي ساعدتني ،
ولا ابتلّ قلبي ،
وقربي شواطىء
قربي نخل .. وعشب ،
وفي مسمعي نوح صوت حزين الوتر ،
يردد مواله فيحن الشجر !
.....
وجيكور سارحة في هداءة ليلتها ،
و « بويب » اصطفى جدولا .. ومضى ،
وفزعت اليك ،
وقلت ستعرفني .. كيف لا ؟
بين قلبي وقلبك جسر من الدمع
والغضب البشري ،
ولكنني الان أيقنت مرتعبا
انني لا أراك ،
وانك سافرت حتى العدم ،
وان جدارا من الصنوبر
بيني وبينك ..
وقبل البكاء وبعد البكاء ـ انهدم
.....
ثم أجهشت تحت المطر
كان « بدر » حجر

البصرة ـ ٧٧

* * *

٣ ـ العيـون

للمساء الذي يتكور عبر الزجاج
والمساء الذي يتسلق سلمه ،
وينام ..
للدروب التي تختفي ..
واختفت
للشبابيك حيث تطل
على أفق وسهول
تختفي ..
واختفت ..

للورود التي تزدهي ..
للخيول
العيون تضيق أحداقها

٧٨ ـ بغداد

* * *

٤ ـ البقايا

لماذا نقول وداعا ؟
وما زال متسع للحديث ،
وما زال متسع للرؤى والتذكر ،
ان المساء ثقيل على القلب
ان جر في حافتيه
السنين التي قد بكينا لها ..
أو عليها !
لماذا نبعثر في لحظة ما جمعنا ؟
وننثره كالرماد ،
ونبكي ،
فنلمح عبر الزجاج الحزين
المساءات تعبر ملتفة
بالندى والدموع ،
وفي لحظة
لا يعود لنا غير هذا الزجاج ..
المبلل بالماء ،
في لحظة
لا يعود لنا غير هذا الوداع الحزين
وتلك البقايا من الصور الضائعات ،
ولا يتبقى من الحب
الا الرماد الذي قد نثرنا !

* * *

٥ ـ حكاية البحر والطفل

السماء الخفيضة تحنو على الارض ،
والارض مرهومة بالرذاذ الخفيف ،
ومشتبك من سلام الغمام
ومن بهجة الارض
يرنو الى الرائحين
الى الرائحات ،
نرى غابة في الضباب ،
يعانقها مطر ناعم ،
فيفجر فيها الطراوة انى اختفت
أو بدت
وسندخل بيتا من القصب الرطب ،
تلك الطيور التي غادرتنا تعود ،
سيبسم طفل على الساحل السائب الموج ،
يفرد راحته للغيوم التي تتهادى
لديه من اللج ذكرى ،
له المد والجزر ينشط ،
والبحر متسع لغناء المراكب
تلتم بالغيم
تجثو على الرمل
والبحر متسع للغرابة !.
.....
الحياة تفك رموز شرارتها في العيون ،
وثمة في غرفة
بابها مشرع لنشيد البحار البعيدة
من يقتفي أثر الحلم ،
يدعو الطيور التي غادرتنا ،
مليئا بنشوة هذا البهاء الطبيعي ،
ممتلئا بالطفولة ..
مستسلما الكتابة !.
.....
حنانيك يا بحر ...
ممتحنا صبوة الطفل تهدر ،
منبسطا للغناء الحنون
تهمهم أحرفك الذهبيات ،
ترسم فوق الفوانيس مهتزة ..
صورة لعيون أحبتك ،
يا بحر تهدر منشغلا بالرياح التي تتقاذف
أو تتآلف ،
والطفل يحمل في قلبه
الشاطيء المقفرا !..
وساعة يا بحر ـ يترك صدرك
مرتحلا للرمال البعيدة
يكتب منذهلا ما جرى !.

٧٨ ـ بغداد

٦ ـ ذكرى

كانت تضيء الشارع المعتم
عندما تمر ،
دائما يظل منها عبق ،
أو رجع كلمة دافئة ،
وكنت ألصق العشب على قلبي ،
وأرخي ساعدي
فوق الغصن المبتل ،
أو أدور في دوائر الماء ،
وأرمي حجرا في اثر حجر ،

وذات يوم عدت ،
لا نجمة في السماء
أحتمي من وجع الذكرى ،
وأسقي العشب ..
في انتظار لحظة تعود ،
أرمي حجرا في اثر حجر ،
حيث الكلام سمك
منزلق بين يدي !

٧٨ ـ بغداد

* * *

٧ ـ القنديل الاعمى

ـ ١ ـ

لم ننس اسما مكتوبا في ورق الاشجار ،
لم ننس اسما محفورا في القلب
وفي جدران لطخها الطين ،
لم ننس الوقت ولا حجرتنا ،
لكن الاوراق
سقطت
والقلب انقبض ،
وتلك الجدران
ما عادت واقفة ،
والحجرة
صارت شجرا يطرح أثمارا مره ،
والاحزان
تقفل في القلب كتاب الايام ،
عدنا نبحث عن شيء يحملنا ،
أو يحمل عنا تعبا
في الذكرى والنسيان

ـ ٢ ـ

الحب يدق الباب ،
تنفتح له الابواب ،
وحقول الدم تصاعد من فورتها ،
والعينان
تحلم أن تبصر أكثر
أن تسرح في فرح ،
وتضيء القلب ،
والحب
يأتينا ،
ينفض ما علق بهذي الروح ..
وما أغلقها ،
والكفتان
تمتـدان ..
لتحيطا خاصرة الكون ،
وتبقى الشجرة
تحلم بفصول تأتي ، ولا تأتي ،
وكتاب الجسر حروف تبقى ،
نغلقه ولا يغلق ،
نغرق في فك طلاسمه ،
ونموت ، وتبقى الشجرة ..
والافق ونيران السحرة !.

ـ ٣ ـ

ترسم هذي الغابة قدامي
طرقا ومعابر ،
والليل طويل .
وانا أحمل في كفي قنديلا اعمى .
وعمود دخان يمتد أمامي ،
وأنا أتساءل : من أشعلها ؟
من أشعل نارا في هذي الارض ،
وداخل ضجة هذي الغابة ؟
والغابة هادئة في الليل ،
الا من صوت مسعور
يأتيني من زاوية لا أعرفها ،
أمشي فوق الاوراق ،
أشم روائحها السحرية ،
في الغابة بيت أدخله ،
أصرخ صرخة ذئب تحصره النار ،
في الغابة بيت أدخله ..
في كفي قنديل اعمى مكسور
في الغابة بيت .. رجل .. وامرأة ..
وطريق مهجور
لكأني أبعد سيلا بشريا
يتلصص من كل نوافذ هذا العالم ،
ويقيم مواكبه المجنونة في بيتي ،
يقذف فيه الزبد ...
بقايا قارات .. خوذا ومشانق ..
اعلانات .. ونواطح من سحب ...
انسانا مقترحا للموت ...
وكواتم للصوت ...
ولهذا ..
أحرق اخر حلم أعمى ،
عشب البيت
وأشياء الذكرى .

بغداد